هنري لامنس، في العام ١٨٩٩، في مجلة «المشرق» البيروتية[٤٤].

واذا كان نجيب عزوري نبه إلى خطر الصهيونية وتنبأ باستفحال الصراع العربي معها، واذا كانت «المقطم» و «المقتطف» كتبتا عن الصهيونية في بعض موادّهما بحياد، فان الأمر لم يخل من متحمسين عرب للمشروع الصهيوني ومدافعين عنه في تلك الحقبة. من هؤلاء شاهين مكاريوس، احد اصحاب «المقتطف». وقد الف كتاباً نشره في العام ١٩٠٤ بعنوان «تاريخ الاسرائيليين» واهداه الى فيلكس سواريس، رئيس الطائفة اليهودية في مصر. وفيه يشيد مكاريوس باعمال الجمعية الصهيونية وبما حققه الاستيطان اليهودي في فلسطين من عمران، ثم ينتهي بالتنويه بما قامت به «من شراء قرية المطلة في قضاء مرجعيون بولاية بيروت، واستيطان الاسرائيليين لها، وشراء اراض في جهات الحولة وطبرية ويافا وحيفا وغيرها، حيث استوطنها اليهود وابدلوا حالتها من عسر الى يسر ومن جدب الى خصب»[٤٥].

لكن، على الرغم من قلة من حذروا من الخطر الصهيوني وقلة اهتمام الصحف به او تحبيذ بعضها للصهيونية، فان تجدد الهجرة، بعد سنوات من التعثر والتردد، اسهم في توسيع التحسس العربي النسبي المحدود لهذا الخطر المتجدد مع موجة الهجرة اليهودية الثانية ( ١٩٠٤ ـ ١٩١٤ )[٤٦]، مما دفع الى توسيع ردود الفعل ضده. وقد ادى هذا، على الجانب الآخر، الى تنبه صهيونيين آخرين لضرورة الاهتمام بمشاعر العرب ومصالحهم؛ فانبرت اصوات جديدة تدعو إلى الاهتمام بالعرب كقوة سياسية، بدل التوجه الى الباب العالي العثماني. وبالاضافة الى ما ذكره آحاد هاعام، مما نقلنا بعضه آنفاً، وجه اسحق ابشتاين انتقاداته لمواقف صهيونيين تجاه العرب، فكان من رأيه «ان مسألة علاقاتنا مع العرب، هذه المسألة التي تتعلق آمال بعثنا القومي بحلها، لم تهمل فقط، [ بل ] اختفت تماماً من امام اعين الصهيونيين»، ليدحض «الرأي الخاطئ الذي انتشر بين الصهيونيين، [ القائل ] ان في ' ارض ـ اسرائيل ' اراضي غير مفلوحة بسبب نقص الايدي العاملة او كسل السكان»، وليؤكد، امام المستمعين اليه، في العام ١٩٠٧، من اعضاء المؤتمر الصهيوني السابع، ان «ليست هناك حقول مقفرة، بل على العكس، يحاول كل فلاح ان يضيف الى ارضه من ارض البور المجاورة... وعندما نشتري قطعة أرض كهذه نبعد عنها مزارعيها السابقين تماماً... فنحرم بهذا اشخاصاً بائسين من ممتلكاتهم الضئيلة ونسلب لقمة عيشهم»، ويرى «ان شراء [ اراضيهم ] على هذا الشكل يترك في قلوبهم جرحاً لا يندمل وسيذكرون دائماً ذلك اليوم الملعون الذي انتقلت فيه املاكهم الى ارض الغرباء... وفي النهاية، سيعملون على استرجاع ما سلبته منهم قوة الذهب»[٤٧]. ويلفت ابشتاين نظر مستمعيه الى حقيقة «ان هذا الشعب... ليس الا جزءاً صغيراً من الشعب الذي يسيطر على كل المناطق المجاورة... سوريا والعراق والجزيرة العربية ومصر»، ثم يهتف محذراً: «لا تتحرشوا بأسد نائم ! ولا تأمنوا جانب الرماد الذي يغطي الجمر، فقد تنطلق شرارة تسبب حريقاً لا يطفأ»[٤٨]. وكان ابشتاين ممن يدعون «إلى تحالف مع العرب وميثاق معهم يفيد كلا الطرفين وكل البشرية»، ويعد انجاز تحالف كهذا «مهمة ضخمة لا يوازيها شيء في تاريخ التقدم البشري، لأنها سوف تؤدي إلى احياء شعبين قديمين يتمتعان بمواهب وامكانيات كبيرة، يكمل احدهما الآخر»[٤٩]. لكن آراء كهذه ما كان لها ان تتغلب على الرأي السائد لدى الاغلبية الصهيونية التي تهمل العرب وتستهين بمشاعرهم وبقدراتهم كما تستهين بمصالحهم. وقد وصف زئيف سميلانسكي، احد وجوه